التنشئة الأسرية السيئة للمراهقين ودورها في انحرافهم ودفعهم لتعاطي المخدرات
دراسة ميدانية ببلدية شفة

رضا بن مقلة*

الملخص :

إن الملاحظ المتبصر في الأحداث التي تقع بالمجتمع ، لا بد وان تلفت نظره العديد من الآفات ، التي أصبحت من كثرة وقوعها كالعادات ، وقد انجر عنها العديد من السلبيات التي أضرت بمقومات المجتمع ، وضوابطه وتقاليده . ومن هذه الآفات نجد استهلاك المخدرات ، ليس من طرف الفئات الشبانية بل من طرف المراهقين حتى الذين لم يبلغوا الخامسة عشر من العمر ، ولم يعد التدخين يلبي حاجاتهم من النشوة ، بل تعداه إلى السموم التي تنخر أجسادهم وهم في عز الطفولة .

والباحث في العلوم الاجتماعية عليه مسؤولية البحث في الأسباب التي أودت بأبنائنا إلى هذه النتيجة ، ومحاولة الخروج بنتيجة تسمح لنا بمحاصرة هذا الداء ، والقضاء عليه . ويجب أن يبدأ من اللبنة الأولى في تأسيس المجتمع ، والتي عليها مسؤولية كبيرة في تكوين الأفراد بالتربية السليمة ، التي تتماشى والتقاليد والديانة الإسلامية ، أفراد متخلقين بخلق الأنبياء والصالحين . أما إذا لم تقم بدورها على أكمل وجه ، فإنها ستكون السبب الأكبر في ولوج أفرادها إلى عالم الانحراف الخلقي ، وهو ما ينعكس بالضرر على الأسرة قبل أي مكان ، وهذا ما سنراه في هذه الدراسة .

Summary :

The observer in the event which happen in our society, he ought to have a glass about the various social phenomenon that became correspond to costume . These phenomenon influences the identity of society, its organization and costumes . From these phenomenon we friend drugs, it is not drink by the younger but it is by the adolescence . In addition to those who are in inferior to 15 years . The smoking is not enough to there recommends but they demand other poison that damage the health .

The researcher in the sociology is responsible to search the cause that heads our children to this result, and how can we fight this ill . We must began from the family which is essential to from the organs by the right education characterize by our costume and our religion . But if this family don't do its role comfortably, it became the cause of delinquency, degenerating which influence the family .

مقدمة :

لقد تميز الإنسان عن جميع المخلوقات الحية بميزة امتلاكه للعقل ، هذا الذي استطاع أن يميز به بين الأشياء التي تنفعه فاداها والتي تضره فاجتنبها . لذلك فقد وضع حياته محكومة بضوابط وقوانين ينصاع لها الأفراد ويتحكمون فيها فيما بينهم ، لان

* أستاذ مساعد ، قسم علم الاجتماع الديني جامعة الجزائر البريد الالكتروني: rbenmokla@gmail.com .

الحدود بين الفرد والمجتمع متداخلة متشابكة ، وليس بالمستطاع بسهولة أن يقال هذا أمر يؤثر في الفرد ، وهذا أمر يؤثر في المجتمع ، فما المجتمع في حقيقة أمره إلا أفراد ربطت بينهم روابط مشتركة . إذا فلا نستطيع أن نجزم أن هناك جماعة من الجماعات الإنسانية إلا وهي خاضعة لمجموعة من الأنظمة تسير حياتهم وتنظمها ، وهذه الأنظمة جعلت الأفراد يقدسونها ويحترمونها ويشعرون بخضوعهم لها ، وهذه الأنظمة هي التي نطلق عليها الأخلاق ، فالأخلاق هي شكل من أشكال الطبيعة الإنسانية وشكل من الوعي الذي يقوم على ضبط وتنظيم سلوك الإنسان في كامل حياته الاجتماعية . إلا أن التنشئة الاجتماعية التي من المفروض أنها تقوم بتعليم الأفراد طبيعة الحياة البينية على أساس قويم لم تكن بالمستوى المطلوب ، ولم تحقق الغرض المرجو من التربية ، فأصبحنا نرى كثير من الأفعال تتنافى وما يدعوا إليه الدين والعرف والتقاليد ، مثال على ذلك تعاطي المخدرات ، وخاصة لدى المراهقين الذين لم يبلغوا سن الرشد بعد . لذلك سنرى في هذه الدراسة طبيعة التنشئة الخلقية التي تربى عليها بعض المراهقين ممن يتناولون المخدرات ، علنا ندرك مكامن الخطأ في هذه التربية لكي نصححها ونجنب شباب المستقبل متاهات وأضرار المخدرات على الفرد والمجتمع ككل . لذلك سأستعرض مفهوم التنشئة الخلقية ، وكيف تكون سيئة وأثرها في انحراف المراهقين ودفعهم لتناول المخدرات .

طبيعة وحجم العينة والبيانات الشخصية للمبحوثين :

بالاعتماد على عينة من 34 مراهق ممن يتناولونها قصد معرفة طبيعة التنشئة الاجتماعية التي نشئوا فيها والتي دفعتهم إلى الانحراف . وقد دفعنا إلى العمل بهذا العدد هو صعوبة إيجاد العينة ، فقد اعتمدنا على طريقة كرة الثلج ، أي أن الأفراد يعرفون بعضهم البعض ، وكل واحد منهم يدلني على الآخر ، حتى استطعت أن أكون عينة من 34 فرد ، والسبب الثاني هو صغر المنطقة والوقت القصير ، فالمنطقة هي بلدية شفة بولاية البليدة ، وقد قسمت الأفراد إلى فئتين عمريتين [12-15] سنة ، والفئة الثانية [15-18] سنة ، وقد كانت النتائج النسبية : الفئة [12-15] 12 فرد بنسبة 35 % والفئة [15-18] 22 فرد بنسبة 65% .

أما فيما يخص المستوى التعليمي ، فقد اتضح أن أعلى نسبة من المبحوثين كان لديهم مستوى متوسط أي 47% تليها مستوى ابتدائي بنسبة 32 % ثم بدون مستوى أي أمي نسبة 12% وأخيرا مستوى الثانوي 9% . ونظرة بسيطة على هذه النسب نجد أن المستوى التعليمي للمبحوثين متواضع ليصل إلى الأمي ، رغم أن معظم المبحوثين يفوق سنهم 15 سنة والذي يقدر 65 % ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الفشل الدراسي ، حيث لم يتخطوا المرحلة المتوسطة ، وهي مرحلة إجبارية التعليم . أما فيما يخص الذين لهم مستوى أمي ، يمكن أن يرجع ذلك إنهم لم يسعفهم الحظ في الالتحاق بالدراسة بسبب غياب احد الوالدين أو جهلهم ، أو استغلال الطفل في بعض الأعمال كالرعي مثلا .

المفهوم السوسيولوجي للتنشئة الاجتماعية :

يستخدم علماء الاجتماع التنشئة الاجتماعية للإشارة إلى : =العمليات التي يتم من خلالها إعداد للطفل ليأخذ مكانة في الجماعة التي ولد فيها+(1) . والتنشئة الاجتماعية من هذا المنظور ، هي عملية تعليم عادات وتقاليد الجماعة ، وقيمها والتكيف معها ، للاندماج في انساق الاندماج الاجتماعي ، والتوافق مع المعايير الاجتماعية ، =وهي

العملية التي تحدث تلقائيا خلال سياق التفاعل مع الأشخاص وتمثل الوظيفة والهدف في مساعدة الأفراد على النمو بالشكل الذي يجعل سلوكهم مقبولا في المجتمع ، وأكثر فعالية في المحافظة على الذات كعضو في الأسرة والمجتمع+(2) .

وتعرف على أنها : =عملية تعليم وتربية ، وتقوم على التفاعل الاجتماعي ، وتهدف إلى إكساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات وقيما مناسبة لأدوار اجتماعية معينة ، تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق معها+(3) .

أهداف التنشئة الاجتماعية :

إشباع الحاجات والتآلف مع الآخرين : الفرد في حاجة إلى إشباع حاجاته الاجتماعية ، من حب وحنان والديه ، حتى يشعر الطفل بأنه مقبول اجتماعيا في أسرته ، فهي إذا =عملية فردية وسيكولوجية ، بالإضافة إلى كونها عملية اجتماعية في الوقت نفسه +(4) . يعتبر حسن التكيف مؤشرا دالا ومعيارا لنمو الصحة النفسية عند الأفراد ويقصد به : =العملية التي يتم فيها تغيير الفرد ، وفقا للظروف التي تحيط به أو تبعا لمتطلبات البيئة الطبيعية والاجتماعية+(5) .

الاستقلال الذاتي والاعتماد على النفس : يتم هذا بإتاحة الفرص للطفل بالتعبير عن ذاته ، وتعويده القدرة على حل المشكلات وعلى اتخاذ القرار بنفسه دون اللجوء باستمرار لأبويه في كل صغيرة وكبيرة ، وتوجيهه مهنيا للعمل فيما بعد ، حتى لا يكون عالة على أسرته أو مجتمعه ، =والاستقلال يجب أن يكون اجتماعيا ونفسيا يغرس مفهوم المسؤولية والواجب في شتى مراحل النمو+(6) .

أهداف تعليمية للدفع لمستوى أعلى للنجاح : فالتنشئة الاجتماعية هي عملية = تعلم اجتماعي ، يتعلم فيها الفرد عن طريق التفاعل الاجتماعي أدواره الاجتماعية والمعايير الاجتماعية التي تحدد هذه الأدوار ، ويكتسب الاتجاهات النفسية والأنماط السلوكية التي توافق عليها الجماعة ويرتضيها المجتمع(7) .

أهمية الأسرة في التنشئة الاجتماعية :

الأسرة هي المحيط الاجتماعي الأول الذي يحتضن الطفل ويتعامل معه ، فالطفل في بداية حياته يكون مادة خام قابلة للتشكيل ، ومن ثم فإن ما تقدمه الأسرة للطفل هو الذي يصنع شخصيته الأولى ، وهي التي تكسب الطفل الخصائص الاجتماعية والنفسية والمعرفية للمجتمع ، كما أنها تكون الوسيلة التي يبنى بها الطفل بناءا سليما ، أو الوسيلة التي تتحطم عليها شخصية الطفل . = فالأسرة هي التي تكسب الطفل المعايير العامة التي تفرضها أنماط الثقافة العامة السائدة في المجتمع ، وتكسبه المعايير الخاصة بالأسرة التي تفرضها هي عليه ، وبذلك تكون الأسرة مؤسسة المجتمع الأساسية في الحفاظ عليه وعلى تراثه الثقافي والحضاري+(8) . وفي مقابل ذلك ، جنوح الأسرة عن مسؤولياتها الاجتماعية ، وتبنيها الأساليب الخاطئة في التطبيع الاجتماعي ، يؤدي بكثير من الأطفال إلى مزالق الانحراف ، والهلاك النفسي والاجتماعي ، ثم إلى الإجرام =إن الكثير من الجرائم التي ترتكب في حقوق المجتمعات ومؤسساتها ، آتية من تقاعس الأسرة عن مهامها في التربية الاجتماعية ، وإلقاء هذه المهمة على الشارع ووسائل الإعلام وجماعات الأقران المنحرفة ، والضحية في ذلك الطفل الذي يحول هذا الضياع إلى ألوان شتى من الانحراف والاعتداء+(9) .

وظائف الأسرة الاجتماعية :

مـا دامـت الأسـرة هـي الوحـدة الاجتماعيـة الأساسـية فـي بنـاء المجتمـع ، فـإن لهـا وظائف اجتماعية تؤديها نحو هذا المجتمع من خلال عملية التنشئة الاجتماعيـة التـي تقوم بها نحو أبنائها ، ويمكن تلخيص هذه الوظائف فيما يلي :

ـ الرعاية الصحية للأطفال : إذا لم تتوفر الرعاية الصحية والمراقبة المستمرة لنمو جسم الطفل معـافى مـن ، فالصـحة الجسدية للطفل تـنعكس علـى النمو السليم لشخصـية الطفل ولبنيته النفسية والاجتماعية .

مـنح المكانـة الاجتماعيـة للأطفـال والبـالغين : =عـن طريـق التقـدير والاحتـرام لشخصـية الطفـل داخـل الأسـرة ، وعـدم تهميشـه أو إغفـال وجـوده ، وهـذا مـن شـأنه أن يورث الحب والثقة بين الآباء والأبناء وإشاعة روح التعاون داخل الأسرة+(10) .

ـ ممارسـة الضـبط الاجتمـاعي علـى الأبنـاء : =والـذي يتعلـق بالسـلوك الأخلاقـي للفـرد والعلاقات الاجتماعيـة فـي المحيط ، فهـي سلطان نفسـي تبنيـه الأسـرة فـي ضـمير الطفل يشد بتلابيبه كلما حاول تكسير أو تجاوز السلوك الفاضـل أو الجنـوح إلـى الانحـراف+(11) .

ـ الوظيفـة العاطفيـة : =تـرك أجـواء المنـزل غـامرة بعواطـف الحـب والتـواد والقبـول الاجتمـاعي ، وهـذا يـؤدي إلـى وجـود وحـدة صـغيرة تكـون المصـدر للإشـباع العـاطفي لجميع أعضـاء الأسرة+(12) .

ـ مسـاعدة الطفـل علـى تعلم المبـادئ الأوليـة التـي تسـاهم فـي التوافق الاجتمـاعي ، وتذليل العقبات التي تعترضه وهو يشق طريقه لبناء مستقبله+(13) .

ـ العمـل علـى توثيـق الصلـة =بين الطفل والبيئـة التـي تحيط بـه ، واسـتغلال هـذه المسألة في تدريب الطفل وترويضه على السلوك الاجتماعي السوي+(14) .

ـ التفاعل الاجتمـاعي للمراهق داخل الأسرة : إن الأسـرة هـي الوسط الـذي يـتعلم فيـه الفـرد الأنماط السلوكية التي تحدد ما سوف يكتسبه فيما بعد في الجماعات الأخرى ، فالأسـرة هـي الجماعة الأولية والأساسية في تشكيل طبيعة الفرد الاجتماعية ، وفي تشكيل أفكاره ، بحيث تصبح ذات الفرد هي حياة وهدف الجماعة(15) . فكلما زاد ترابط الطفل بوالديه ، قلت أمامه فرصـة الجنوح ، فارتباط الطفل بوالديه يتجه إلى ربط الطفل بتوقعـاتهم ، وبـذلك فهو يـرتبط بمعايير المجتمع الكبير(16) .

فـالأم تعتبـر المدرسـة الأولـى فـي بنـاء شخصـية الطفـل ، فهـي بـذلك تتحمـل اكبـر المسؤولية فـي المجتمـع ، وهـذا بسـبب احتكاكهـا المباشـر والمتواصـل مـع أبنائهـا . فهـي المصدر الأول للحب والحنان والعطف ، الذي يعتبر من اكبر الأسس للتطـوير العـاطفي وإحساس الطفل بالطمأنينة والاستقرار(17) .

وبالمقابل لا يمكننا أن نغفل أهمية الأب ، الذي يعتبر السند القوي فـي إرشـاد وتقويم وتوجيه سلوك أبنائه . لان الطفل في هذه المرحلة مولع بالتقليد ، فيـرى أن أبيـه هو رمـز القوة والشهامة ، فيقلده في تصرفاته وسلوكياته ، ومـن هنـا نـرى انـه إذا كـان سلوك الأب ايجابيـا وموافقـا للقيم والمعـايير الاجتماعيـة ، كـان لهـا الأثـر الايجـابي ، وانغرسـت فـي الطفل .

التفاعل الأسري ودوره في دفع الأبناء إلى الانحراف :

إن التفاعل الدائم بين أعضاء الأسرة الواحدة (الوالدين والإخوة) يعتبر من المظاهر الأساسية في نمو شخصية أفرادها ، وخاصة بالنسبة للأطفال والمراهقين ، فإذا كانت الأسرة مبنية على علاقات طيبة تمكن الأبناء من أن يجدوا فيها مجالا خصبا لحياة غنية بالخبرات ، وإلا سعوا إلى تحقيق ملذاتهم والتنفيس عن احتياجاتهم خارجها . وقد تناول دوركايم هذه الحقيقة الأساسية عندما أشار إلى أن كل زيادة في عدد الاتصالات تضاعف فرص الاحتكاك وتبادل العلاقات بين الأشخاص ، وحيث يستدعي ما ينشأ من مشكلات ضرورة التكيف ، حيث تتطلب الحياة تحقيق الانسجام مع القواعد والتعليمات(18) . وفي هذه الدراسة ذكر 40 % من المبحوثين أنهم نادرا ما يدخلون في حوارات ومناقشات مع أسرهم ، أو حتى الاجتماع معهم ، مما غيب روح الاتصال في الأسرة ، واختفت الروابط الأسرية ، وفي المقابل يرى 71 % أنهم يشعرون بالراحة أكثر مع رفقائهم ، من هنا نرى أن العلاقات مع الرفاق أصبحت مصدر الشعور بالراحة والسعادة النفسية ، وهذا في مكان البيئة الطبيعية وهي الأسرة .

فالعالقة بين الوالدين التي تظهر من خلال السعادة الزوجية التي لها اثر كبير على تماسك الأسرة ، يؤثر كثيرا في نمو شخصية الأبناء ، فالعلاقة السوية بين الوالدين تؤدي إلى إشباع حاجات الطفل إلى الأمن النفسي ، والى توافقه الاجتماعي ، كما أن التعاسة والمشاكل الزوجية بمختلف أنواعها من الطلاق أو هجر احد الوالدين أو الشجارات المستمرة التي تؤدي إلى تفكك الأسرة ، وهذا ما يؤثر حتما على نفسية الناشئ ، مما يؤدي إلى النمط السلوكي المضطرب لدى الطفل(19) . وقد تبين من العينة أن 54 % من المبحوثين ممن لديهم مشاكل وخصومات مستمرة في الأسرة . وتبين أن 35% والديهم مطلقين ، و70% يعيشون مع احد الأولياء . وقد أكد أن من أسباب تناوله المخدرات هو حالة الطلاق بين والديه . كما انه هناك 23% من هناك وفاة لأحد أبويه .

فالأب في الأسرة الجزائرية التقليدية ، لا يبدأ حقيقة في تربية أبنائه من الذكور خاصة ، إلا ابتداء من الثامنة إلى العاشرة من العمر ، ويترك لزوجته تحمل تربية البنات(20) ، من هنا نرى أن معاملات الآباء للأبناء تتأثر بجنس الولد ، فعلاقة الأب بالابن تختلف عن علاقته بالبنت بشكل أو بآخر ، وتكون أكثر خصوصية عندما يكون الأبناء في اكتساب ادوار ومراكز جديدة ، وهذا يفسر طبيعة المشاكل التي يمكن أن تنشأ في الأسرة ، والتي تتعلق بادوار الأفراد فيها حسب طبيعة كل فرد ومركزه فيها . وقد ذكر 33 % من العينة أن العلاقة مع الأولياء سيئة بينما 25 % يقولون أنها جيدة .

والعلاقة بين الأم والأبناء هي في الغالب اخف حدة وتوتر ، لان الأم في الكثير من الأحيان تكون الطرف المهدئ لمشاكل ، وتحاول اجتناب الصدام بين الأولاد والآباء ، وهي اقرب إلى الأبناء لسهولة عملية الاتصال معها ، فهي تلعب دور الوسيط بين الأب وأبنائه . وقد أثبتت الاختبارات أن الابن إذا تعذر عليه إقامة علاقات عاطفية مع والديه ، يتعذر عليه إقامة علاقات اجتماعية مع غيره من ذلك(21) . وقد أظهرت الدراسة 20% من لديهم علاقة سيئة مع أمهاتهم ، و40% ،يعتبرون أن علاقاتهم جيدة .

والعلاقة بين الإخوة في الأسرة الواحدة لها بالغ الأثر في توجيه سلوك الطفل ، حيث نجد أن العلاقات التي يبنيه الإخوة والأخوات ، يشبه إلى حد بعيد العلاقة التي نجدها في زمرة الأصدقاء ، حيث تتميز بالاتساع والشمول ، والمظهر الأخر يظهر في

مدى الاتصال فيما بينهم ، والمظهر الثالث هو الارتباط الوثيق في العلاقات ، والتي تشمل كل جوانب حياتهم(22) . وما يمكن ملاحظته أن معيشة واحتكاك الإخوة بعضهم ببعض يؤدي إلى إشباع الحاجات ذاتية تتعلق بتحقيق نوع من الأمن والانتماء عند هؤلاء الأبناء ، مما يسمح لهم بالتوحد أمام أي تدخل أو تهديد من خارج الأسرة . وهذا ما يظهر جليا حيث أن 16% فقط ممن يعتبرون وجود علاقة سيئة بالإخوة ، بينما 84% يعتبرونها بين جيدة إلى مقبولة .

فالأسرة لاتمثل المكان الذي يستطيع الطفل أن يشارك فيه الحياة بمختلف نشاطاتها فقط ، وإنما هي أيضا مكان لا بد أن يتوفر فيه الاستقرار والراحة . فالتفاعل الاجتماعي بين أعضاء الجماعة الأسرية يستمد خصوصيته من علاقة الإطراف المشاركة فيها ، لأنه لكل فرد من الأسرة يكتسي خصوصية معينة تؤكدها المكانة البيولوجية والمركز الاجتماعي . وأي خلل في الوسط الاجتماعي الذي يبدو من خلال صور العلاقات المضطربة والهشة بين أفراد الأسرة الواحدة ، لدليل على سلبية التفاعل الاجتماعي داخلها ، الذي يولد نوع من الصراع ، وتدفع الأبناء إلى سلوك الأفعال الشاذة وغير المقبولة اجتماعيا وأخلاقيا ، كتناول المخدرات ومصاحبة رفقاء السوء .

دور سوء التنشئة في انحراف الأبناء : إن أساليب التنشئة الاجتماعية للمراهق ، تتنوع من مجتمع لآخر ، ومن أسرة لأخرى ، وحتى من فترة لأخرى ، كما تختلف أيضا لاختلاف الانتماء الاجتماعي والثقافي العام ، وسوء توجيه هذه الأساليب أو سوء استخدامها أو تجاهلها ، قد يؤدي إلى عواقب وخيمة يكون لها الأثر السلبي على المراهق ، مما يدفعه إلى البحث عن ملجئ آخر لإشباع حاجاته ، ومن هذه الملاجئ هو مصاحبة رفقاء السوء وتناول المخدرات ، ومن أهم الأساليب المتبعة في التنشئة :

الأسلوب الرافض أو النابذ : وهذا الأسلوب يجعل الابن منبوذا من قبل الوالدين أو احدهما ، فيلقى منهما انتباه وعناية قليلة ، في النواحي النفسية والاجتماعية ، والمسائل الاقتصادية ، وقد يكون الرفض ذا طبيعة انفعالية(23) . وفي هذا الأسلوب نجد الوالدين أو احدهما يسيطران على الابن سيطرة قاسية ، فلا يشعر حينها بالأمن ، ولا يستطيع إرضاء حاجاته ، أما سلوكه فيحتمل أن يكون غير اجتماعي كالقسوة والكذب والسرقة والشرود . من خلال العينة المبحوثة ، نجد أن 59% يشعرون انه هناك تمييز بين الأولاد من طرف الأب ، بينما يرى 37 % انه هناك تمييز من طرف الأم % ، وهذا الأسلوب من عدم المساواة والإنصاف بين الأبناء ، سواء بسبب الجنس كتفضيل الذكور عن الإناث أو العكس ، أو المرتبة في الهرم الأسري ، كأن يكون الأصغر أو الأكبر ، أو بسبب عاهات خلقية أومرض مستديم أو يكون ابن الزوج أو الزوجة الأولى ، كل هذا يؤدي إلى الانشقاق الأسري والتباعد البيني بين الأفراد ، ويربي لدى الابن الشعور بالانعزال والتضامن والانطوائية والفردانية ، ومن شانه أن يغرس في نفوسهم الحقد والغل وروح الكراهية والانتقام .

الأسلوب التسلطي القهري : يعتمد هذا الأسلوب على المنهج المتسلط في المنع والتحريم ، واستعمال عبارات قاسية من الوعيد والترهيب ، والتأنيب والصراخ . وقد يكون هذا الأسلوب معتمدا على القهر الجسدي ، من ضرب وتعذيب وإساءة مادية ، ويحدث ذلك أحيانا عندما يفشل القمع الكلامي اللفظي في الوصول إلى الهدف . حيث يميل الوالدين للسيطرة وفرض معايير السلوك التقليدية باستخدام السلطة في سلوكهم

نفسه[24] . وهذا الأسلوب في التربية يخلق في الأبناء النفور والهروب من الواقع المعاش ، فالقهر والتسلط والتشدد تجعل من الأسر آلية للاضطراب والكبت الاجتماعي والنفسي للأبناء ، وهذا ما يؤول بهم إلى الشعور بالنقص والارتباك مما يسهل انقيادهم إلى الانحراف خاصة من رفاق السوء[25] .

من خلال بيانات الجدول ، نجد أن نسبة 50 % من الآباء يستخدمون العقاب على أي سلوك غير مرغوب فيه ، في حين أن الأمهات تمثل نسبتهن 41 % ، من جهة أخرى هناك 53 % من الوالدين من يقدمون النصيحة ، وفي الأخير 21 % ممن لا يبالون ولا يهتمون بسلوكيات أبنائهم . ومما يلاحظ أن أسلوب العقاب هو المفضل للأولياء في معاقبة أبنائهم ، فاستعمال القسوة والشدة والعنف ، وتكرار استعمال العقاب الجسدي كالضرب حيث تبين أن 59 % من أفراد العينة مورس عليهم العقاب الجسدي ، أو الترك والهجر الذي بلغ 14 % والعقاب النفسي باستعمال الألفاظ التي تجرح الأحاسيس والمشاعر والذي بلغ 3% ، تولد لدى الأبناء مشاعر الإحباط وكراهية الآخرين ، وتدفع بهم للبحث عن البديل الاجتماعي لهذا الوسط الأسري القاسي ، لأنهم يرونه ظلما اجتماعيا يسعى إلى فرض الخضوع والاستكانة والإذعان ، مما يولد التمرد على الأسرة ، وإتباع الطريق المنحرف .

الأسلوب المفرط في الرعاية : وهو عكس الأسلوب الأول ، بحيث يسرف الوالدين في تدليل الأبناء من كثرة حرصهم عليهم . والأم غالبا ما تكون الشخص الذي يقدم الحماية الزائدة للابن ، وتدور في ثلاثة أساليب : الإفراط في الارتباط ، واستمرار المعاملة الطفولية ، والثالثة إعاقة النمو الاجتماعي للطفل[26] . وهذا الأسلوب يفسد من شخصية الطفل وتجعله اتكاليا ، لأنه تعود على والديه يسرعان إلى حل مشاكله والتفكير مكانه ، مما يجعل من الطفل يجد صعوبة في النجاح في مستقبل حياته ، لنقص الثقة في نفسه ، لأنه لم يتدرب على هذه الصفة ، كما انه يميل إلى الحياء والانطواء والتهرب من المسؤولية وعدم القدرة على التصرف[27] .

دور التفاوت الاجتماعي بين أفراد الأسرة في جنوح المراهق : هناك تفاوت كبير في مستويات المعيشة بين الأسر ، لأنه يوجد الكثير من المقومات التي تساعد على توفير بيئة معيشية لها ميزات ثقافية واقتصادية واجتماعية ، وهي تتفاوت من أسرة لأخرى ، وهو يؤثر على مجرى عمليات التفاعل الاجتماعي داخل الأسر ، وخاصة على أفعال الأبناء .

اثر المستوى الثقافي والتعليمي : لا شك أن الأسرة ذات الثقافة والوعي أكثر قدرة على أن تتفاعل كوحدة اجتماعية ، أما الأسرة التي تتفاوت ثقافتها ، فهذه كثير ما تعاني من تفتت العلاقات بين أعضائها ، ويلاحظ ذلك جليا في الأسر محدودة الثقافة التي يصل أبنائها إلى درجة من العلم ، فالصدام هنا يرتبط بان الأبناء يرغبون في اتجاهات حياتية تختلف عما درج عليه الآباء والأمهات[28] .

فعلى مستوى الوالدين نجد أنهما إن تمتعا بدرجة معينة من الثقافة ، فهذا يسمح لهما بالتواصل بطريقة جيدة مع أبنائهم وتفهم انشغالاتهم واحتياجاتهم ، خاصة في مرحلة المراهقة التي تصاحب عدة تغيرات فيزيولوجية ونفسية ، يكون أثرها واضحا على تصرفات المراهق ، فإذا كانت ثقافة الوالدين محدودة وغير ملمة بشكل جيد بتغيرات

هذه الفترة من حياة الأطفال ، فانه لا يكون هناك تواصل جيد بين الآباء والأبناء ، بل يكون التصادم والتنافر . فالآباء بفضل تمتعهم بقدر معتبر من النمو الثقافي والمستوى العلمي ، يرون التنشئة الاجتماعية للأبناء باعتبارها أو قضية تحتاج للبحث والاهتمام .

ومن خلال نظرة على العينة ، نجد أن جل أولياء العينة من الأميين أو مستوى تعليمي ضعيف وخاصة عند الأمهات . حيث نجد نسبة الأمية عند الوالدين بلغت 44 % أما نسبة من والديهم ذوي مستوى جامعي فنجد 6 % ،وفيما يخص باقي المستويات فنسبتهم متقاربة . وكما ذكرنا أن نسبة الأمهات قليلة خاصة في المستوى الجامعي ، حيث نجد نسبة 2% أي أم واحدة لمبحوث من العينة .

وإذا ما أردنا تفسير هذه الأرقام نجد انه حدث تقليد لفشل الأولياء الدراسي ، أي فشل الأولياء الدراسي انعكس على أبنائهم ، وهذا ما رأيناه في المستوى التعليمي للأبناء ، حيث أن جل المبحوثين ذوي مستوى منخفض أو معدوم . وبما أن المسؤول الأول على التنشئة الاجتماعية هما الوالدين ، فأنهما في العادة يميلان إلى تطبيق محتوى ثقافي قديم ، لا يتلاءم مع مستجدات الوقت الراهن والتفكير الجديد للأبناء(29) ، ومحاولة فرض نمط حياة من تصوراتهم الشخصية ، بالتالي يكون هناك اصطدام ومواجهة ، يؤدي إلى الفشل في الدراسة أو الحياة الأسرية ، وهو ما يدفع الأبناء إلى الانحراف .

اثر المستوى الاقتصادي للأسرة : إن دراسة العوامل الاقتصادية وتأثيرها في الحياة الاجتماعية ، يعطينا لمحة عن تأثيره المباشر عن كثير من جوانب المعيشة للأسر ، ويمكن أن يمتد هذا التأثير إلى مستوى عمليات التفاعل الاجتماعي لأفراده ، فالانتماء إلى فئة اقتصادية معينة ينعكس بدوره على طبيعة العلاقات المتبادلة في الأسرة ، كذلك على نظام قيمها . فقد يكون العوز مثلا من العوامل التي تدفع إلى التشنجات الأسرية ، فقد أظهرت الكثير من الدراسات أن الأزمات الاقتصادية العنيفة وبطالة الزوج تؤدي في كثير من الحالات إلى زيادة في مشكلات الأسرة ، وهذا ما كان يؤدي إلى غياب تحقيق المطالب والحاجات المادية أو نقصها الدائم ، الشيء الذي يولد لدى المراهق الإحباط والتمرد والعدوان ، ليتحول إلى كائن اجتماعي لا تؤثر فيه عملية التنشئة والطرق التربوية الأسرية العادية والتقليدية .

ومن خلال بحثنا في العينة المدروسة وجدنا أن حوالي نصف الأولياء بدون مهنة ، وذلك بعدد 32 أي نسبة 47 % (الآباء 9 نسبة 25 % الأمهات 23 نسبة 69 %) ، تليها نسبة أصحاب المهن الحرة ثم نسبة الأعمال الأخرى . وبما أن من خصوصيات الأسرة الجزائرية أن الأب هو المعيل الأساسي فنجد أن نسبة 25 % منهم عاطل عن العمل ، ونسبة 37 % يزاولون مهن حرة . أما الأمهات فمكانهن الطبيعي هو المنزل لذلك نجدهن أعلى النسب للعاطلات عن العمل 69% .

وهذه الأرقام والنسب تسلط الضوء على العلاقة الوطيدة بين مهنة الوالدين والجو العام في الأسرة ، فبطالة الأب التي مثلت ربع العينة ، تؤثر في الأسرة ، فعدم ممارسة أي مهنة يؤدي إلى قلق دائم ، وعدم الإنفاق على أفراد الأسرة يخلق الكثير من المشاكل والخلافات ، بحيث تفقد العلاقات المتوازنة في الأسرة التي تكون نتائجها عكسية على التربية السليمة للأبناء ، وقد أظهرت كثير من الدراسات أن الأزمات الاقتصادية العنيفة وبطالة الزوج تؤدي في الكثير من الحالات إلى زيادة مشكلات الأسرة . والعكس يمكن

أن نلاحظه ، فالآباء الذين يعملون طوال النهار ولا يخصصون وقتا للجلوس مع أبنائهم ، غافلين عن الجانب العلاقات والعاطفي والاجتماعي بين أفراد الأسرة ، فبقاء الأبوين مدة طويلة خارج البيت يدفع بالأبناء لفعل ما يحلوا لهم دون رقيب وحسيب موجه . من جهة أخرى نجد أن نسبة الأولياء الموظفين 14 % أي الذين يضمنون حد معين من الأجر ، ومن خلال هذه المهنة تسمح لهم بتنظيم أوقاتهم لقضائها مع أسرهم وإشباع حاجاتهم العاطفية والاستماع إليهم ، وهذا ما يبرر أن نسبة الأولياء من لديهم ابن منحرف هم من فئة الموظفين .

علاقة المراهق بالمخدرات :

من خلال العينة تبين أن 60 % من أفراد العينة ذكر أن أول لقاء بالمخدرات كان من طرف الأصدقاء وخاصة من أفراد الحي ، وهذا ما يبرر تفضيلهم البقاء مع الرفاق على الجلوس في الوسط الأسري ، لكن هذا لا يمنع من أن 15 % من ذكر أن احد أفراد الأسرة هو من كان يتناولها وهذا الأخير تعلمها منه ، ومن هنا يتبين أن السلوك الأخلاقي السيئ من بعض أفراد الأسرة حافز على انحلال أخلاق الأبناء . وعن كيفية حصولهم على المخدرات ، فقد ذكر 60 % أنها من طرف الأصدقاء ، بينما 20 % انه يشتريها من مصروفه اليومي ، ونسبة 10 % يقومون بالسرقات لحصول عليها ، وأكدت الغالبية العظمى أن استهلاكهم للمخدرات يمر بفترات متقطعة ، أي أنهم لا يتناولونها بشكل دائم ، وهذا لعدة أسباب ومنها عدم إدمانهم عليها واستبدالها بتدخين السجائر العادية ، ومنهم من يذكر أن استهلاكه لبعث النشوة ، ومنهم يخاف من الدوريات الأمنية ، أو علم الأولياء بهم .

نتيجة عامة عن الدراسة :

إن موضوع تناول المخدرات خاصة من طرف المراهقين ، يعتبر ظاهرة اجتماعية جد خطيرة في المجتمع الجزائري ، وخاصة لتفشيها في أوساط جميع فئات المجتمع ، وقد ركزنا في هذه الدراسة على فئة المراهقين ، لأنهم في المستقبل القريب يكونون هم شباب الأمة الذين من المفروض أنهم يقومون بترقيتها وحمايتها وازدهارها . لان الشباب هم عماد الأمة وذخيرتها . أما إذا كان حالهم على هذا المنوال فلا يمكننا الانتظار منهم الكثير ، بل العكس سيكونون هم معول هدم وتدمير ، خصوصا إذا لم نسرع لوأد هذه الظواهر ومعالجتها من مهدها .

ويعتبر الاهتمام بالأسرة لأنها اللبنة الأساسية في بناء أي مجتمع ، فإذا صلحت صلح المجتمع ، وإذا فسدت فسد كل المجتمع . ونظرة سريعة عن حال الأسرة الجزائرية يرى أنها تأثرت بالمستجدات التي طرأت على الحياة الاجتماعية الحديثة ، وقد شجعت على التحول من القيم التقليدية إلى ممارسات حديثة أكثر خضوعا للعقل ، فتحولت الوظائف والأدوار داخل الأسرة تحولا كبيرا . من هنا تظهر أهمية العلاقة بين أفراد الأسرة ، وأساس العلاقة بين الآباء والأبناء ، حيث تكون هذه العلاقة نتيجة مباشرة لطبيعة الأسلوب التربوي من قبل الآباء في تعاملهم مع الأبناء .

قائمة المراجع :

1. ترافيس هرشي ، أسباب جنوح الأحداث ، محمد سلامة غباري ، المكتبة الجامعية ، الإسكندرية ، ص132 .
2. نفس المرجع ، ص 26 .
3. عبد الله الرشدان : علم اجتماع التربية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 1999 ، ص76 .
4. عبد الرحمان العيسوي : الجريمة والإدمان ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2000 ، ص25 .

5. عبد الله الرشدان ، المرجع السابق ، ص75 .
6. عامر مصباح : التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية ، الجزائر ، 2003 ، ص81 .
7. نفس المرجع ، ص 81 .
8. مالك سليمان مخول : علم النفس الاجتماعي ، مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ، 1982 ، ص 131 .
9. عامر مصباح ، مرجع سابق ، ص 84 .
10. سناء الخولي : الأسرة والحياة العائلية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 ، ص 61 .
11. محمد مصطفى زيدان : النمو النفسي للطفل والمراهق ، دار الشروق ، جدة ، 1980 ، ص 262 .
12. مصطفى الخشاب : دراسات في علم الاجتماع العائلي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص 95 .
13. عثمان سيد احمد : علم النفس التربوي الاجتماعي ، مكتبة الانجلومصرية ، القاهرة ، 1989 ، ص56 .
14. سامية الخشاب : النظريات الاجتماعية ودراسة الأسرة ، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، ص181 .
15. Parot Maurice : L'enfant et les relation familiale, PUF, Paris, 1959, P57 .
16. 16 ـ محمود حسن : الأسرة ومشكلاتها ، دار النهضة ، لبنان ، 1981 ، ص314 .
17. محي الدين مختار : محاضرات في علم النفس الاجتماعي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 ، ص195 .
18. Abdelkader Chaker : La jeunesse algérienne en France, ed SNED, Alger, 1977, P157 .
19. محمد عبد القادر قواسمية : جناح الأحداث في التشريع الجزائري ، الوطنية للكتاب ، 1992 ، ص106 .
20. محمود حسن ، المرجع السابق ، ص247 .
21. محمود حسن ، المرجع السابق ، ص274 .
22. خيري خليل الجميلي : الاتصال ووسائله في المجتمع الحديث ، المكتب العلمي للكمبيوتر ، مصر ، 1996 ، ص45 .
23. محمد مصطفى زيدان : النمو النفسي للطفل والمراهق ، دار الشروق ، ط3 ، جدة ، 1990 ، ص171 .
24. محمود حسن ، المرجع السابق ، 277 .
25. محمود حسن ، المرجع السابق ، ص282 .
26. عباس مكي ، زهير حطاب : السلطة الأبوية والشباب ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، ب س ، ص112 .
27. حليم بركات : المجتمع العربي المعاصر ، مركز الدراسات العربية ، ط3 ، بيروت ، 1986 ، ص123 .
28. عباس مكي ، زهير حطاب ، المرجع السابق ، ص31 .
29. محمود حسن ، المرجع السابق ، ص225 .
30. محمود حسن ، المرجع السابق ، ص252